بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة

أ.د / محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف المصرى

فى حفل افتتاح مؤتمر الدوحة الرابع للحوار بين الأديان

المنعقد فى الدوحة فى ٢٥ – ٢٦ / ٤ / ٢٠٠٦ م

حول موضوع

(دور الأديان فى بناء الإنسان)

تمهيد :-

لقد أصبح الحوار بين الأديان والحضارات ضرورة ملحة في عصرنا الحاضر . فالحوار هو اللغة الحضارية الوحيدة التي تليق بالإنسان . والأخطار التي يتعرض لها عالمنا المعاصر قد أصبحت أخطاراً تهدد كل الأمم والشعوب كبيرها وصغيرها ، قويها وضعيفها ، غنيها وفقيرها . وقد صور النبي محمد عليه الصلاة والسلام البشرية بشكل رمزي كأنها محمولة على ظهر سفينة واحدة ، ولهذا فإن على البشرية أن تنمي الشعور بالتضامن فيما بينها إذا أرادت لسفينتها ألا تغرق .

والأديان لها دور بالغ الأهمية في إنقاذ البشرية من الأخطار التي تتهددها . فقد جاءت الأديان لإصلاح البشر والأخذ بيدهم إلى ما فيه سعادتهم في دنياهم وأخراهم . ولا خلاف بين الأديان السماوية في هذا الهدف . فكلها تمثل حلقات متصلة ، وإذا كانت كل منها تتخذ طريقاً مختلفاً فإنها في النهاية تتحد في الهدف . ولا يمكن أن تتناقض رسالات هذه الأديان ، لأن جوهرها واحد ومصدرها جميعاً واحد . ومن هنا أمر القرآن الكريم المسلمين بالإيمان بجميع أنبياء الله ورسله ، وعدم التمييز بينهم قائلاً : " لا نفرق بين أحد من رسله " .

وإذا حدث خلاف بين هذه الأديان فإنه لا يرجع في الحقيقة إلى الأديان ذاتها ، وإنما يرجع إلى أتباع الأديان الذين يسيئون فهم رسالة الدين ويسيرون وراء أغراض دنيوية أخرى لا صلة لها بالدين .

ومن هنا فإن الحوار بين الأديان على أساس الاحترام المتبادل من شأنه أن يزيل الكثير من سوء الفهم ، ويقضي على الكثير من الأحكام المسبقة والمفاهيم المغلوطة لدى كل طرف إزاء الطرف الآخر . والحوار الديني يعد جزءاً لا يتجزأ من الحوار بين الحضارات . فالحضارات في كل مكان في العالم قامت أساساً على قاعدة

26-APR-2006 13:23 P. 02/06

من الدين . وسلام العالم يتوقف على بناء السلام بين الأديان . والسلام بين الأديان لن يتحقق إلا بالحوار .

وحتى يتحقق الهدف من الحوار ويكون له معنى وفائدة فإنه ينبغى أن يركز على القواسم المشتركة بين الأديان ويبتعد عن القضايا الخلافية التى لا يجدى الحوار حولها . فكل له معتقده الذى لن يتزحزح عنه . ومن هنا وجدنا القرآن الكريم يركز على ثلاثة قضايا أساسية ويبين أن من يلتزم بها ينال رضا الله . وهذه القضايا الثلاث هى الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر والعمل الصالح.وفى ذلك يقول القرآن الكريم : " إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون "(البقرة ٦٢) .

وهذه القضايا الثلاث يمكن أن تشكل أساساً راسخاً لأى حوار مثمر بين الأديان لما فيه مصلحة الإنسان.

نظرة الإسلام إلى الإنسان :-

وعندما نتحدث عن دور الدين فى بناء الإنسان من وجهة النظر الإسلامية فلابد لنا فى هذا الصدد من أن نتعرف أولاً على نظرة الإسلام للإنسان ، ومن خلالها سيتضح لنا مدى الدور الحاسم الذى يقوم به الإسلام فى بناء الإنسان .

لقد خلق الله الإنسان – مثلما خلق بقية الكائنات الحية – من تراب ، أى من مادة . ولكن الإنسان هو الكائن الوحيد الذى اختصه الله بأن نفخ فيه من روحه هو ، كما جاء فى القرآن الكريم : " فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين " . وقد كانت هذه النفخة الروحية الإلهية أساس التكريم الإلهى الذى اختص الله به الإنسان . وقد تجلى هذا التكريم فى اختيار الله للإنسان ليكون خليفة له فى الأرض ليقوم بإعمارها مادياً وروحياً ، أى ليصنع فيها حضارة مزدهرة تتكامل فيها المادة والروح على نحو بعيد عن الغلو والتطرف .

28-APR-2006 13:24 P.03/06

وهذا التزاوج بين المادة و الروح هو محور التكوين الإنساني ، وبناء الإنسان يقوم عليهما معاً . وتعاليم الدين من شأنها إقامة التوازن بينهما . وتلك هي وسطية الإسلام التي وصفها النبي عليه الصلاة والسلام بأنها سنته التي ينبغي على المسلمين اتباعها محذراً في الوقت نفسه من يحيد عنها بقوله :- " فمن رغب عن سنتي فليس مني " . وقد انعكست هذه الوسطية على كل التشريعات الإسلامية ، والذي يجتاز هذا الاختبار الصعب بنجاح يكون جديراً حقاً بالتكريم الإلهي الذي لم يحظ به كائن آخر غير الإنسان .

وحتى يستطيع الإنسان القيام بمهمته في إعمار الكون وصنع الحضارة فيه سلحه الله بالعلم . فقد زود الله آدم - الذي هو رمز للبشرية كلها - بالعلم قبل أن يهبطه إلى الأرض . وبهذا العلم بمعناه الشامل لكل الأبعاد أصبح الإنسان قادراً على ممارسة دوره الحضاري في هذا الكون . ومن هنا جعل الإسلام العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

ومن ناحية أخرى فإن الإنسان لكي يكون جديراً حقاً بخلافته لله في الأرض ينبغي عليه أن يتخلق بأخلاق الله ، كما جاء في الحديث النبوي : " تخلقوا بأخلاق الله " . فإذا كان الله قد أمر بالعدل وكتب على نفسه الرحمة فإن على الوكيل - وهو الإنسان - أن يتخلق بخلق الرحمة ، وأن يقيم العدل بين الناس ، حتى ولو على نفسه أو الأقربين . وهكذا الشأن في بقية الصفات الإلهية التي ينبغي على الإنسان أن يتمثلها ويسير على هداها ، ويتأسى بكل ما تحمله من معاني الحق والخير والجمال .

وحتى يصل الإنسان إلى هذه المرتبة فإن عليه أن يعمل على استقامة صلاته بنفسه وبالله وبالناس وبالعالم الذي يعيش فيه ، الأمر الذي يؤدي إلى أن يصبح بحق جديراً بأن يكون وكيلاً عن الله في الأرض يقيم فيها موازين العدل ،ويرسي دعائم الحق ، ويزرع الخير الذي تعود ثمرته على الناس دون تمييز .

26-APR-2006 13:24 P. 04/06

دور الدين في بقاء الإنسان :-

وإذا كانت هذه هي نظرة الإسلام إلى الإنسان . فإن الدين من شأنه أن يُذكّر الإنسان بذلك كله .ومن هنا وجدنا القرآن يأمرالنبي عليه الصلاة والسلام بان يذكّر الناس بالقرآن وبما يشتمل عليه من تعاليم : " فذكر بالقرآن " (٥٠ / ٤٥) وينبهه إلى أنه مُذكّر كما جاء في آية أخرى : " فذكر إنما أنت مُذكّر" (٨٨ / ٢١) ويشير القرآن الكريم إلى أن الله يبين آياته للناس لعلهم يتذكرون (٢ / ٢٢١) .

وإذا تذكر الناس آيات الله وتعاليم الدين وعملوا بما جاء فيها أدى ذلك بطبيعة الحال إلى خلق أجيال من المؤمنين الواعين بمسئولياتهم ، الفاهمين لدورهم في الحياة ، الساعين إلى كل ما فيه الخير للحياة والأحياء . وبذلك يمثل الدين طوق النجاة للبشر ليعودوا إلى رشدهم ويصححوا مسارات حياتهم ويتعاونوا جميعاً على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان .

والذى ينظر في أحوال عالمنا المعاصر وما يموج فيه من حروب ، وما يحيط به من مشكلات على المستويات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والبيئية يتضح له بجلاء مدى حاجة البشرية لهداية الدين لإنقاذ البشرية من هلاك محقق .

إن المجتمع الإنساني مجتمع متشابك في علاقاته ، ويمثل وحدة واحدة تجمع البشر جميعاً في إطار واحد . وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بأن الناس جميعاً قد خلقوا من نفس واحدة . ونحن في عصرنا الحاضر نردد كثيراً بأننا قد أصبحنا نعيش في قرية كونية واحدة . وهذا يعني أن مصير البشرية كلها مصير واحد مشترك ، وقد شبهه النبي عليه الصلاة والسلام بمصير قوم اجتمعوا في سفينة واحدة . وقد استقر بعضهم في أعلاها وبعضهم في أسفلها . وكان الذين في أسفل السفينة يأخذون حاجتهم من الماء بالصعود إلى أعلى السفينة . وقد أرادوا أن يريحوا أنفسهم من عناء الصعود والهبوط وقرروا إحداث خرق في السفينة يأخذون منه حاجتهم من الماء . ويحذر

26-APR-2006 13:24
P. 05/06

النبى صلى الله عليه وسلم من مغبّة ذلك مشيراً إلى أنه إذا ترك الناس هؤلاء القوم يفعلون ما يريدون هلك جميع ركاب السفينة ، وإن أخذوا على أيديهم ومنعوهم مما أرادوا نجا الجميع من غرق محقق .

وهذا يعنى أن إنقاذ البشرية من الهلاك يتحقق عن طريق التضامن بين البشر والتعاون فى سبيل دفع الأخطار وجلب المنافع من أجل خير الجميع وأمنهم واستقرارهم . والدين يمثل طوق النجاة لإنقاذ البشرية .

ومن هنا فإن المهمة الملقاة على عاتق رجال الأديان مهمة ثقيلة ومسئولية كبيرة . وهم فى عالم اليوم أمام اختبار حقيقى لإثبات قدرتهم على العمل من أجل إقامة السلام بين البشر . فهل هم فاعلون ؟

إن الحوار بين الأديان يمثل خطوة على الطريق الصحيح ، والآمال المعقودة على الحوار على جميع المستويات آمال كبار ، ولكن الأهداف المرجوة لا تتحقق بمجرد الأمنيات ، وإنما بالعمل الدؤوب والتعاون المخلص من أجل خير الناس ، كل الناس . فى كل زمان ومكان .

والله من وراء القصد ،،

وهو ولى التوفيق ،،،

26-APR-2006 13:24
P.08/08